ندوة الإســـلام والتصوف

اجتمعت ندوة الإسلام والتصوف الشهرية فى مساء يوم الاثنين الموافق ٣٠ من شوال عام ١٣٧٧ هـ — ١٩ مايو عام ١٩٥٨ م بدار المشيخة العامة للطرق الصوفية .

وقد حضرها الأساتذة . . . محمد محمود علوان ، الدكتور عبد الحليم محمود ، الدكتور محمد وصفى ، ابراهيم سلامة الراضى ، لبيب البوهى ، سلامة نويتو ، حيفى الساكت ، طه عبد الباقى سرور .

وافتتح الندوة سماحة السيد محمد علوان بكلمة طيبة رحب فيها بالسادة المجتمعين وهنأهم بظهور مجلة الإسلام والتصوف التى ستحمل لأول مرة فى تاريخ الفكر والصحافة رسالة التصوف وتنطق باسم مشيخته .

ثم عرض الأستاذ طه عبد الباقى سرور ، موضوع الندوة . وهو :

« هل التصوف الإسلامى ، يدعو إلى الزهد والعزلة والسلبية ، أم هو ، قوة إيجابية لها أثرها وتوجيهها ، فى حياة الفرد والجماعة والأمة الإسلامية .

واقترح الدكتور محمد وصفى . أن تبحث الندوة العلمية أيضاً . موقف التصوف ورأى شيوخه فى المعرفة الباطنية أو العلوم اللدنية ، نظراً لأهمية البحث وخطورته ، وتعدد الآراء حياله ، ووافق المجتمعون على اقتراح سيادته ، على أن تبدأ الندوة بفكرة التصوف : بين الإيجابية والسلبية :

الأستاذ لبيب البوهى .

أرجو أن تدور المناقشة أولا حول معانى كلمة « التصوف » وعلى هذا الأساس . تحدد رأيه فى الحياة . سلبية أم إيجابية . ؟

سماحة السيد علوان :

التصوف بمعناه الحقيقى ، كما شاهدناه عند أئمته وقادته وشيوخه ، هو جهادلتحرير النفس من أهوائها ونزواتها ، وتحرير الإنسان من ربقة الخوف والذل . . أو بمعنى أعم هو جهاد الكمال فى كل عمل من أعمال الدنيا ، وفى كل عبادة من عبادات الآخرة .

الدكتور وصفى :

الذى أشار إليه السيد شيخ المشايخ من تعريف التصوف يطابق تعاليم الدين والشريعة كما وردت فى الكتاب والسنة ، ولكن هناك وجهاً آخر من وجوه التصوف ، يحبّل صاحبه تكاليف فى العبادة ، والخلوة تدعو إلى تصفية الإنسان لروحه صفاء خالصاً يعلو به إلى مرتبة نكاد نلمحها فى التكاليف الثقيلة المتعارف عليها بين رجال التصوف ، حتى تجرى على يديه خوارق العادات ، وقد أولع الناس بهذا اللون ، واقتصر فهمهم للتصوف على ذلك المعنى .

سماحة السيد علوان :

لافارق إطلاقاً بين الإسلام والتصوف ، والامام الجنيد وهو سيد الطائفة يقول: « طريقنا قائم على الكتاب والسنة وخدمة الأمة » والصوفى لا يعتزل الدنيا ، وإنما الخلوة والاعتكاف فترة من الحياة للتزود والتطهر ، كما كان يفعل الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وهو الصوفى الأول ، فى غار حراء ، وكما كان يفعل عليه الصلاة والسلام فى رمضان وقد ورد فى الحديث الشريف الصحيح : « كان رسول الله إذا أقبل العشر الأواخر من رمضان اعتكف قومه ، وشد مئزره وأيقظ أهله » كان يفعل هذا وهو المجاهد المناضل الذى حمل أعباء الرسالة وغير وجه الدنيا بدعوته وكفاحه .

فالصوفى يعبد الله ويتهجد لله ويذكره آناء الليل وأطراف النهار ، ليتزود من كل ذلك بالقوة التى تعينه على النضال والتفوق ، والهيمنة على الحياة .

ولقد وصف الله تبارك وتعالى المهاجرين والأنصار الذين حملوا راية الدعوة وملئوا الدنيا جهادا ونضالا وعملا صالحا بقوله « والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما » وقوله « كانوا قليلا من الليل مايهجعون » .

الأستاذ طه عبد الباقى سرور :

مسألة الخوارق والكرامات . التى أشار إليها الدكتور وصفى ليست من عناوين التصوف ، ولا من أهدافه وأغراضه ورسالاته .

ولقد كان أئمتنا وكبار شيوخنا من السلف الصالح ، لايقيمون لها وزنا ، ويعتبرونها من البروق التى تأتى فى البداية للتمكين حينا ، وللاستدارج أحيانا ، حتى ليصفها شيخ التصوف الأكبر الإمام محيى الدين بن عربى : بأنها أشبه بالألعاب التى تلقى إلى الأطفال لايتلفت اليها الرجال ، ولايقف عندها أهل المعرفة ، ولاينشدها ولا يرغب فيها من يبغى وجه الله سبحانه وحده لاشريك له .

والكرامة الحقة عند المتصوفة ، هى الكرامة التى يضفيها الله سبحانه على عبده علامة على الحب والرضا ، لتحفظ عليه حاله ومقامه بتوفيقه للطاعة والعبادة والقيام بفرائض دينه ، وقواعد طريقه وآداب سلوكه .

وأضيف إلى هذا أن الكرامة أو الخارقة ، ليست دليلا من أدلة الشرع ، وليست منهجا من مناهج التصوف ، فالخوارق عادة تصاحب الرياضات الروحية على اختلاف ألوانها وصورها سواء كانت رياضة صالحة نقية ، كرياضة التصوف ، أو رياضة روحية فكرية ، كرياضة الهنود وبعض الطوائف التى تنتسب إلى ما يقارب هذا المذهب ويشابهه .

وحجة الإسلام الغزالى يقول : « إذا رأيت إنسانا يطير فى الهواء ، أو يسبح فى الماء ، ويتعاطى أمرا يخالف الشرع فاعلم أنه شيطان » .

الأستاذ سلامة نويتو :

يعيب بعض الناس على المتصوفة زهدهم وقناعتهم وتواكلهم وعدم تطلعهم إلى القوة

والتفوق . مما لا يصلح للحياة الحاضرة بما فيها من صراع وتوائب .

سماحة السيد علوان :

الزهد فى التصوف . ليس هو الزهد المتخاذل الضعيف الذى يثب إلى أذهان الناس اليوم .

بل هو زهد بعد امتلاك ، أو كما يقول المتصوفة : أن تمتلىء يداك بالمال ، ويخلو قلبك من حبه ، فالصوفى لا يستعبده مال ولا جاه ولا متاع . قد يكون من أصحاب المال والمتاع والجاه وكثيرا ما كان . ولكنه مال ومتاع وجاه خاضع للصوفى مسخّر له .. لا سيد ولا حاكم عليه . يبذل فى سبيله كرامته ودينه، والرسول صلوات الله عليه يقول : « تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد القطيفة » .

والتصوف ، توكل على الله ، لا تواكل ، وشتان بين الكلمتين والمعنيين ، والإمام الغزالى يقول : «الأسباب ظواهر تلازم الشىء وليست هى علته» أى أن الفاعل الحقيق هو الله سبحانه لا الأسباب الظاهرة .

فالصوفى يعمل ويسعى لأن العمل والسعى واجبان وسنتان من سنن الكون .. ولكنه لا يعتقد أنهما سبب ما يصل إليه بل يؤمن بالله المهيمن على كل شىء . وهو معنى دقيق . ظن به من لم يعرف التصوف الظنون ، حتى نسب أربابه إلى التواكل الخامل القانع ، وهم أكثر الناس براءة منه ، وبعدا عنه .

الأستاذ لبيب البوهى :

الزهد الصوفى . كما أفهمه ، هو عدم الخضوع للطيبات ، والنبى صلى الله عليه وسلم كان أزهد الناس فى الحياة ، وكان فى الوقت نفسه ، يقرن الفقر بالكفر .

ورسالة التصوف . أن يحقق الصوفى كمال العبودية ، ومن كمالها القدرة مع الزهد ، والقدرة مع العفو ، والقدرة مع البذل والإنفاق . لأن الصوفى دائما أبداً فى مقام الإحسان : اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك : والصوفى يحب أن يراه ربه ، حيث يرضى عنه

الدكتور عبد الحليم محمود :

التصوف الإسلامى ، منهج فكرى ، وسلوك عملى ، وهو كفكرة ، ثقافة روحية عالية ، تسمو فوق كل الثقافات المادية ، لأنه يحتويها ، ويضيف إليها من إشراقاته وإلهاماته وإيمانه مايحولها إلى العلم النافع ، والمعرفة الصالحة .

وهو كسلوك عملى ، لون من الوان التربية لم تر الدنيا ما يسامقه طهرا وخلقا وإنسانية ، ولم تشهد الحياة مايطاوله فى إمداد النفس البشرية بالقوة على الكفاح ، والقدرة على التفوق ، لأن الإنسان ، إذا ملك شهوات نفسه ، وأطلق أنوار قلبه ، ومشى على الصراط المستقيم من أوامر ربه غدا قوة إيجابية فعالة مؤثرة فى كل شىء ، ومن هنا كان التصوف الإسلامى ، تصوفا عمليّا بكل ماتتسع له هذه الكلمة من صـــور ومعان .

الأستاذ ابراهيم سلامة الراضى :

إن العالم الإسلامى لم ينزل من مكانته العالية ، من قيادة الإنسانية وخلافة الأرض ، إلا يوم أن عبد الدينار ، وخضع للترف والشهوات ، لقد كان سيدا ، يوم أن كان لاشىء فى الدنيا يغريه ويفتنه ويضله عن واجبه ، وعن دينه ، وعن وطنه ، يوم أن كان زهده أكبر من مطامعه ، فلما أن غلبت مطامعه وشهواته على زهده ، أدبر مجده ، وتولى بأسه ، وفقد منابع القوة والعزم وإراده الحياة ، وصدق الله « إن الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

وانتهى اجتماع الندوة على أن تعقد باذن الله فى الساعة الثامنة من مساء يوم الأربعاء ١٨ من يونيو عام ١٩٥٨ لبحث رأى التصوف فى العلم الباطنى . والمعارف اللدنية .

الخلاصـــة

والخلاصة . . . أن التصوف الإسلامى ، قوة إيجابية ، من أعظم القوى البانية فى المحيط الإسلامى ، وعلى أسس أخلاقه ومثالياته شيدت الأمة الاسلامية فى ماضيها تفوقها ومجدها . . .